بعض معالم السلوك في القرآن الكريم!!

http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa28-10314.pdf

د. صادق السامرائي
أمريكا - العراق
sadiqalsamarrai@gmail.com

من أجل الوصول إلى فهم موضوعي وجاد للسلوك البشري , من المفيد أن نرى الإنسان كما يراه خالقه , وفقا لما جاء بكتابه المُحكم المبين , المنزل على رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.
وهذه بعض ملامح سلوكنا التي يشير إليها.

أولا- الخَلـــــــق

تتكرر الآيات التي تذكّر الإنسان بماهية خلقه ومعنى أصله , وفي ذلك دلالات على أن الإنسان ينسى حقيقة كينونته , ويتمادى في سلوكه الذي لا يتفق وطبيعة نشأته , والغايات التي وُجد بسببها, وتذكير شديد ودامغ , بأنه مخلوق , وله خالق عليه أن يتبع إرادته , ويحقق غاية خلقه في سلوكه , وإلا قد تجاوز قاعدة ومنهاج الغايات المرجوة منه.

"خلق الإنسان" الرحمن 3

وقد وفر الخالق لمخلوقه كل شيئ , بعد أن فكر بفضاءات حاجاته , وما يسعده ويرضيه في هذه الواحة الكونية , فأسس له جنته التي يمكنه أن يتمتع بها ويأنس.
وقد خلق الإنسان من طين , فمهما كنت أنت أيها الإنسان وتوهمت فأنت من الطين , وعليك أن لا تنسى حقيقتك وماهية ذاتك الطينية.

"الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين" السجدة 7

وتتوالى الآيات التي تذكر بكيفية خلق الإنسان ودوام بقائه وتوالده في الأرض كما في الآيات التالية:

"خلق الإنسان من صلصال كالفخار" الرحمن 14
" ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون" الحجر 26
"خلق الإنسان من علق" العلق 2
" لقد خلقنا الإنسان في كبد" البلد 4
""إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا" الإنسان 2
"لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم" التين 4
"فلينظر الإنسان مم خلق" الطارق 5
" ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين" المؤمنون 12

وخلق الإنسان من طين فيه إشارة إلى أن الإنسان قد خُلِق من كل شيء في هذا الوجود المادي , وكذلك وضع فيه شيئا من كل ما في الوجود اللامادي.
فهو خليط ما بين التجانس واللاتجانس.
ما بين الإستواء والإضطراب, وفيه ما يدور بين طرفي معادلة الحركة والحياة وكل الصيرورات

من أجل الوصول إلى فهم موضوعي وجاد للسلوك البشري ، من المفيد أن نرى الإنسان كما يراه خالقه ، وفقا لما جاء بكتابه المحكم المبين

فمهما كنت أنت أيها الإنسان وتوهمت فأنت من الطين ، وعليك أن لا تنسى حقيقتك وماهية ذاتك الطينية.

خلق الإنسان من طين فيه إشارة إلى أن الإنسان قد خُلِق من كل شيء في هذا الوجود المادي ، وكذلك وضع فيه شيئا من كل ما في الوجود اللامادي

قد ينكر أنه مخلوق ويأبى أن يقر بوجود الخالق ، ويرى بأنه محض صيرورة مجهولة في كون سحيق.

الممكنة. بهذا المعنى تحقق لخلق الإنسان من طين بعض دلالات التعقيد والصعوبة القصوى , التي تتوطن المخلوق الطيني , فالطين فيه من كل شيئ شيئا.
ولنتساءل لماذا يكرر خالقنا تذكيرنا بكيفية خلقنا ونشأتنا؟

ثانيا- الكفـــــــــــــر

الكفر هو الإنكار بمعناه المطلق.
فقد ينكر الإنسان خلقه من طين من خلال سلوكه الذي لا يتفق وطبيعة الطين.
وقد ينكر أنه مخلوق ويأبى أن يقر بوجود الخالق , ويرى بأنه محض صيرورة مجهولة في كون سحيق.
وقد يعبد غير خالقه ويصنع له آلهة ويتجاوز على ربه ويؤكد عبادة غيره.
وفيه تأكيد على السلوك البشري الذي يميل إلى نكران الأصل والإمعان بالفردية والطغيان , وقد يصل إلى حد يحسب أنه خالقٌ وليس مخلوقا , وفي ذلك الكثير من القصص والشواهد البشرية عبر التأريخ الإنساني.
أي أن البشر يميل إلى الرفض والكفر بما يرى.

"قتل الإنسان ما أكفره" عبس 17

"وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين" الزخرف 15

ثالثا- الطغيـــــــــــان

"كلا إن الإنسان ليطغى" العلق 6

يبدو أن الطغيان من طبع البشر , ويعبّر عنه كلما سنحت فرصة لذلك.
والطغيان يتخذ أساليبا مختلفة وفقا للظروف المواتية , وقد تجد طفلا طاغيا على الأطفال من حوله , أو أخا بين أخوته أو رجلا في بيته أو امرأة في بيتها, أو مسؤولا في دائرته.
وهكذا يمضي سلم الطغيان في الحياة , ويتحقق بصورة أكبر في النظم العسكرية.
وكذلك في بعض الأحزاب والتجمعات السياسية والعقائدية.
ولا توجد فترة بشرية مرت دون تفاعلات طغيانية قائمة.

رابعا- الكنـــــــــود

"إن الإنسان لربه لكنود" العاديات 6

الكنود يعني نكران النعمة التي أنعمها الله على البشر.
وهذا الشعور يلازمنا كثيرا ويتأكد في سلوكياتنا المختلفة.
ونكران النعمة يتجسد في إساءة استخدامها والتصرف بها , والعبث بما توفر لدينا من طيبات الدنيا وميسرات شؤونها لتحقيق السعادة البشرية.
والمثال الواضح على ذلك نعمة النفط التي توفرت على أرضنا , لكننا أسأنا إستخدامها على مدى القرن الماضي , وحولناها إلى نقمة علينا وعلى الأجيال المتلاحقة , وما استفدنا منها بقدر ما تسببت في تنمية العناءات وزيادة الفقر.
ولو أننا أحسنّا إستخدام نعمة النفط , لما بقي في أرض العرب فقيرا وجائعا ومحروما , ولا في أمة الإسلام كذلك , ولحققت الأمة عزتها وهيبتها ومقامها المحمود المهاب.
لكن نكد هذه النعمة وسوء التصرف بها قد أصابنا بمقتل أليم.

قد يعبد غير خالقه ويصنع له آلهة ويتجاوز على ربه ويؤكد عبادة غيره.
وفيه تأكيد على السلوك البشري الذي يميل إلى نكران الأصل والإمعان بالفردية والطغيان

يمضي سلم الطغيان في الحياة ، ويتحقق بصورة أكبر في النظم العسكرية.
وكذلك في بعض الأحزاب والتجمعات السياسية والعقائدية.

ونكران النعمة يتجسد في إساءة استخدامها والتصرف بها ، والعبث بما توفر لدينا من طيبات الدنيا وميسرات شؤونها لتحقيق السعادة البشرية.

ولو أننا أحسنّا إستخدام نعمة النفط ، لما بقي في أرض العرب فقيرا وجائعا ومحروما ، ولا في أمة الإسلام كذلك ، ولحققت الأمة عزتها وهيبتها ومقامها المحمود المهاب.

هذا الإنسان يصر على نزقه وإمعانه بالتعالي على نفسه وغيره ، وإلحاحه على توجهات لا ترتبط

به وتمسكه بأشياء لا تنفعه بل تزيده خسرانا وبهتا.

فماذا بقي من كل العصور والحضارات، أ لم يؤول كل شيئ إلى رميم وأحجار نزورها ونتأملها ، ولا نتعظ من معانيها ورحلتها الأرضية.

والخسران معنى مطلق يشمل الكثير من السلوكيات البشرية ، التي تدور من حولنا وعلى جميع المستويات.

فالميل إلى الخصام والتفاعل السلبي ما بين البشر حالة خلقية قائمة فيهم ، ولا يمكنهم تجاوزها وتحقيق السلام الشامل على الإطلاق ، لأن ذلك يتناقض مع الطبع الخلقي للبشر.

الفزع والذعر من التفاعلات المؤثرة في السلوك ، قوى سلبية قد تدفع بالبشر ليكون ضمن مجموعات وأحزاب ليتخلص من هذه المشاعر.

حالة الهلع البشري تؤدي إلى سلوكيات عديدة ومتنوعة ذات

خامسا- الخســـــــران

"إن الإنسان لفي خسر" العصر 2

الإنسان الذي ينسى أصله وصيرورته وينكرها ويتعداها ويحسب أنه شيئا آخر فأنه سيخسر قطعا.

لكن هذا الإنسان يصر على نزقه وإمعانه بالتعالي على نفسه وغيره , وإلحاحه على توجهات لا ترتبط به وتمسكه بأشياء لا تنفعه بل تزيده خسرانا وبهتا.

ويمضي البشر في رحلة الخسران رغما عن التحذير , وما ترك السابقون له من شواهد واضحة تؤكد ذلك.

فماذا بقي من كل العصور والحضارات, أ لم يؤول كل شيئ إلى رميم وأحجار نزورها ونتأملها , ولا نتعظ من معانيها ورحلتها الأرضية.

الشواهد من حولنا , فماذا تقول لنا وتستنهض في كياننا؟

ما بقيت عروش ولا دامت إمبراطوريات , لكن الذي بقي في الأرض هو العمل الطيب وما ينفع الناس , وليس الفرد الأناني الذي تجاوز على بشريته , وأهان إنسانيته بجشعه ونزقه المقيت.

بقيت الكلمة الطيبة والفعل الصالح والذكر الحميد.

ويبقى البشر في طريق الخسران بكل معانيه فيرغبه بقوة , ويندفع نحوه أشد الإندفاع ولا يرعوي من سابقيه. والخسران معنى مطلق يشمل الكثير من السلوكيات البشرية , التي تدور من حولنا وعلى جميع المستويات.

سادسا- الخصـــــــام

"أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين" يس 77

وهذا سلوك آخر بمعانيه الواسعة المتحررة من قيد المكان والزمان , والمعبرة عن طاقة كامنة في المخلوق البشري.

هذه الطاقة تُترجم في الخصام بمعنى أن لا ينظر للأشياء بإيجابية , وإنما دائما يبحث عن السلبي فيها , ويبرر من خلاله مخاصمته لها وتفاعله السلبي معها , ويمضي في ذلك حتى يصل إلى مرحلة العداوة والبغض والصراع الدامي والاقتتال.

لينظر بعضنا إلى البعض , ويتأمل كيف أنه يميل إلى عدم رؤية الإيجابي في غيره , ويسلط كل قدرات إحساسه ووعيه على السلبي فيه , ويتعامى عن نفسه ويضعها في موقف مشاكس ومناهض لما في الآخر, لكي يؤكد فرديته وإختلافه , ورفضه للمساواة بغيره والإعتراف بأنه مخلوق مثله.

فالميل إلى الخصام والتفاعل السلبي ما بين البشر حالة خلقية قائمة فيهم , ولا يمكنهم تجاوزها وتحقيق السلام الشامل على الإطلاق , لأن ذلك يتناقض مع الطبع الخلقي للبشر.

وهكذا يستمر الصراع ما بين البشر أفرادا وجماعات , ولا خيار عندهم لتجاوزه بسبب عاهة الضعف الكامنة فيهم.

سابعـــــا- الهلـــــــــع

"إن الإنسان خلق هلوعا" المعارج 19

الفزع والذعر من التفاعلات المؤثرة في السلوك , قوى سلبية قد تدفع بالبشر ليكون ضمن مجموعات وأحزاب ليتخلص من هذه المشاعر.

والهلع هو أحد الأسباب المهمة في بناء المجتمعات , بعد أن تعب البشر من حالة التحفز الدائبة ,

التي مر بها , فأوجبت عليه أن يكون متوترا وجاهزا للصراع مع غيره كما تفعل الحيوانات في الغاب , فإذا أصابها ضر فأنها لا محالة تمضي فريسة لغيرها من الحيوانات المتحفزة مثلها للمحافظة على نوعها.

حالة الهلع البشري تؤدي إلى سلوكيات عديدة ومتنوعة ذات غايات بقائية, فتتفجر الأنانية وخصائص السلوك الفردي عندما يسود الهلع مجموعة ما من الناس.

والمهلوع يمكنه أن يقوم بأي شيء يخطر على باله من أجل أن يستكين ويتخلص من ذعره وفزعه.

ويمكن إستخدام هذه الحالة في تحشيد الشعوب ضد بعضها , والجماعات ضد بعضها البعض , وهي أساليب سياسية خبيثة ومدمرة للبشر.

والهلع والذعر من وسائل الحكم الرخيصة في البلدان التي تتسلط فيها الكراسي على رقاب الناس.

وهكذا فنحن نخاف ونفزع ويتملكنا الذعر , ويتسبب لنا بسلوكيات سلبية نحصد منها نتائج ضارة , وقد تتفاقم تفاعلات الهلع لتصنع حروبا وإضطرابات دامية ومقيمة لزمن ما.

ثامنا- الظلـــــــــــــم

"وأتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار" إبراهيم 34

من طبع البشر أن يظلم والظلم كفر , ولهذا نجد كلمة الظلم مقرونة بالكفر في الكثير من الآيات.

فالظلم ليس إنحرافا سلوكيا ومرضا نفسيا, وإنما طبع بشري سائد يعبّر عنه طبقا للحالة الإنفعالية .

فالحاكم يظلم والمسؤول يظلم لإشباع الغريزة الموجودة فيه , والغير مهذبة إجتماعيا ونفسيا وروحيا.

وكلما ظلم البشر أخاه البشر كلما إزداد إمعانا بالظلم , لأنه يبعث فيه حرارة تلك الغريزة ويمنحه إحساسا بالقوة والسلطة والخروج عن أصله البشري , والتماهي بخالقه أو نكرانه والتجاوز عليه حتى ينال عاقبة ظلمه.

والظلم سلوك خطير على المستوى الفردي والجماعي, ولا يمكن لظالم أن يستريح في ظلمه , لأن الظلم يدفع إلى صيرورات تؤدي في نهاية المطاف إلى إهلاك الظالم والحفاظ على التوازن البشري.

لا يمكن لبشر يظلم أن يسعد بظلمه وإنما يلقى أشد العذاب ويصيبه شر المآل.

وتلك سنة الله في خلقه ومعادلة صيرورة الأحداث على وجه الأرض.

لكن الظلم يبقى سلوك يومي لا يبرأ منه البشر ولا يشفى , لأنه يترجمه وفقا للطبيعة السيئة المزروعة فيه , والمتأكدة في فعله وتعبيراته السلوكية مع البشر من حوله.

تاسعا- الضعـــــــــف

"يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا" النساء 28

البشر كائن ضعيف, فهو يولد ويكبر ويعجز ويصيبه المرض , وقد يحصل له ما يحصل ويموت حالا.

فهو غير قادر على البقاء الأبدي فوق الأرض , وإنما يمر عليها ويتفاعل مع غيره ويذهب كما ذهب الآخرون من قبله , وتتكرر حالة المجيء والذهاب والتواصل السرمدي.

وبين الضعف والقوة تتولد سلوكيات بشرية متنوعة , وذات توجهات مختلفة ومتطورة وفقا للمكان والزمان. فالضعف يملي على البشر قلقا وخوفا , ويدفعه بكل ما عنده من طاقات إلى أن يمتلك القوة , التي تكون معانيها ورموزها متفقة والمجتمع الذي يكون فيه.

والسعي إلى القوة والبقاء غريزة فاعلة في الكيان البشري , والتعبير عنها يتخذ وسائلا متعددة.

أيها البشر أنت ضعيف, وتريد القوة, وتسعى إليها لكي تتخلص من أزمة الضعف ولو لوقت قليل,

غايات بقائية، فتتفجر الأنانية وخصائص السلوك الفردي عندما يسود الهلع مجموعة ما من الناس

والهلع والذعر من وسائل الحكم الرخيصة في البلدان التي تتسلط فيها الكراسي على رقاب الناس.

فالظلم ليس إنحرافا سلوكيا ومرضا نفسيا، وإنما طبع بشري سائد يعبّر عنه طبقا للحالة الإنفعالية .

وكلما ظلم البشر أخاه البشر كلما إزداد إمعانا بالظلم ، لأنه يبعث فيه حرارة تلك الغريزة ويمنحه إحساسا بالقوة والسلطة والخروج عن أصله البشري ، والتماهي بخالقه أو نكرانه والتجاوز عليه حتى ينال عاقبة ظلمه.

لكن الظلم يبقى سلوك يومي لا يبرأ منه البشر ولا يشفى ، لأنه يترجمه وفقا للطبيعة السيئة المزروعة فيه ، والمتأكدة في فعله وتعبيراته السلوكية مع البشر من حوله.

البشر كائن ضعيف، فهو

فتستريح وترى طعم الحياة وتأنس بها لحين.
ورموز القوة كما هو معروف تتنوع وفقا للظروف المكانية والزمانية في المجتمعات الأرضية.
وغالبا ما تكون قوة سياسية أو دينية أو مادية.
والكثير من الأحداث والسلوكيات السياسية والصراعات تفسرها هذه العلة , التي يحاول البشر بصورة فردية أو جماعية أن يتخلص منها.
ولنا في ملحمة جلجامش تعبير واضح عن الثورة البشرية ضد الضعف والبحث عن القوة والخلود.

عاشرا- اليـــــــــــأس

"ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور" هود 9

اليأس أعجل وأسهل على البشر من التفاؤل , لأن ضعفه يدفعه بإتجاهه ويذكره بقسوة على أنه مخلوق ضعيف وواهن.
واليأس تعبير سلوكي نفسي عن الموت, فتكون إقامته في أعماق البشر طويلة وصعبة.
فلا يمكنه أن يخرج بسهولة من كهف اليأس إن هو دخله , وإنما يتنامى يأسه ويسعى إلى موته بكل ما فيه من قدرات , وربما يقرر أن يقضي على وجوده في الحياة فينتحر.
ومن هنا فأن اليأس صنو الكفر لأنه يأخذ البشر إلى نواحي بعيدة مظلمة , لا تسمح له برؤية النور وتريق إيمانه في رمضاء الحزن والإنتهاء.
واليأس يمكن تسخيره لمهمات سوداء وتفاعلات مرضية مؤذية ما بين البشر.
وقد يكون اليأس متسلطا على فرد أو مجموعة من البشر تحيط بهم ظروف قاتمة مريرة صعبة.

حـــــــادي عشـــــــــر- العَجـــــــل

"ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا" الإسراء 11

" خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون" الأنبياء 37

البشر في طبعه يتعجل ويميل إلى السرعة , وعلة ذلك أن شبح الموت يطارده بوعي منه أو لا وعي.
وهو يندفع بسلوكيات قد لا يدركها لكنها تشير إلى خوفه من الموت , الذي سيحل به ذات يوم ما , وأن عليه أن يحقق ما يستطيعه قبل أن تقع الواقعة.
ولهذا أكدت الكثير من الآيات على الصبر والأمل والإيمان والتفاؤل , لكن الصبر يعز كثيرا والتعجل يسود دائما , مما يتسبب في الكثير من المشاكل الإجتماعية وغيرها من الويلات الكبرى.

ثانـــــي عشـــــــر- البخـــــــل

" قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا" الإسراء 100

البشر يميل إلى إحتكار الأشياء وكنزها ولا يعطيها لأخيه البشر بسهولة وطيبة نفس , لأنه يريد كل ما حوله له وحسب , وهذا يدفع إلى الشراهة والطمع الذي يتأكد في سلوكياتنا المتنوعة.
وبرغم الآيات التي تشير إلى ضرورة عدم إحتكار النعمة والمال , وأن للأخ الفقير حق بما نملك وعلينا أن نطهر نعمتنا بالعطاء الطيب النزيه لأخينا البشر, لكننا نحيد عن ذلك ونجده أمرا صعبا وقاسيا وربما غير مقبول.
ولو تأمل كل منا من حوله وتساءل كم منا يتبرع من أجل حياة أفضل لغيره , لوجدنا أنفسنا نتلفت

يولد ويكبر ويعجز ويصيبه المرض ، وقد يحصل له ما يحصل ويموت حالا.

والسعي إلى القوة والبقاء غريزة فاعلة في الكيان البشري ، والتعبير عنها يتخذ وسائلا متعددة.

واليأس تعبير سلوكي نفسي عن الموت، فتكون إقامته في أعماق البشر طويلة وصعبة.
فلا يمكنه أن يخرج بسهولة من كهف اليأس إن هو دخله ، وإنما يتنامى يأسه ويسعى إلى موته بكل ما فيه من قدرات ، وربما يقرر أن يقضي على وجوده في الحياة فينتحر.

البشر في طبعه يتعجل ويميل إلى السرعة ، وعلة ذلك أن شبح الموت يطارده بوعي منه أو لا وعي.

أكدت الكثير من الآيات على الصبر والأمل والإيمان والتفاؤل ، لكن الصبر يعز كثيرا والتعجل يسود دائما ، مما يتسبب في الكثير من المشاكل الإجتماعية وغيرها من الويلات الكبرى.

في صحراء.
وقد هذبت الشعوب المتحضرة هذه العلة السلوكية وأعطت قيمة كبيرة للتبرع وبناء المؤسسات الإجتماعية التكافلية , التي تمنح المعوزين فرصة التمتع بحياتهم مثلما يفعل الميسورون ولو بشكل قريب.

ثالـــث عشـــــر – الجـــــدل

ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيئا جدلا" الكهف 54

البشر من طبعه الجدل وهو صفة لازمة وفاعلة في حياتنا , ولا يخلو منها إجتماع ما بين إثنين أو أكثر منا. نحن نجادل لأننا نمتلك غريزة رفض الآخر , ونأبى أن نستكين لغير ما نراه ونتصوره عن الذات والموضوع.
ويبدو أن الجدل حاجة بقائية وغريزية ضرورية لديمومة النوع وتأكيد الذات , وهو نتاج التفاعل الإجتماعي , وقد يكون قائما على مستوى المخلوقات الأخرى , ونلحظه في سلوكها مع بعضها.
الجدل رغبة الرفض ومحاولة السيطرة على الآخر نفسيا ومعنويا وجينيا.

رابـــع عشـــــر – الظلـــــم والجهـــــل

" إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا" الأحزاب 72

المعرفة البشرية قليلة وهي تشكل نسبة ضئيلة بالقياس إلى ما نجهله.
وفي عالم الجهل الفسيح الذي ننعم به نتوهم بأننا ندري ونتصرف وكأننا نمتلك الحقيقة والدراية الأكيدة بالأشياء والتغيرات , ونحسب ذلك يقينا ونتمسك به إلى حد إفناء الآخر من حولنا لأنه لا يرى ما نراه ونعتقده , ونعيش وهم المعرفة ونحن في غاية الجهل والأمية الشاملة.
والجهل ظلم لأنه يدفع إلى سلوكيات غير منصفة ومؤذية وتغضب الخالق , وتوفر أسباب العناء الأرضي وتبني حالة من السوء والبغضاء , والتفاعلات السلبية النكراء.

خامـــس عشـــر – تفاعلـــه مـــع الخيـــر والشـــر

"لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط" فصلت 49

"...وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصيبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور" الشورى 48

" وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض" فصلت 51

في هذه الآيات توضيح لآليات سلوكية معقدة , وتبيان لإزدواجية المشاعر والمواقف البشرية , التي تتفاعل مع الظروف الموضوعية المتبدلة.
فهو لا يسأم من الخير ودعائه لكنه لا ينظر في الخير ويتدبره , وإن أصابه سوء فأنه ينسى الخير الذي عنده أو كان عنده , ويتحول إلى نقطة صغيرة سوداء بلا حياة ورؤية متفائلة.
وفي وقت الخير والرحمة يكون مفرطا في أنانيته وغروره وخروجه عن طوره.
وما أن تمس إصبعه النار حتى يكفر بواهب النعم والخيرات وينكر وجوده وقوته.
هنا تظهر ازدواجيتنا وإلتباسنا السلوكي وتشوه رؤيتنا للأمور من حولنا وما تملكه أيدينا , فنحن لا نرى ما عندنا بل نرى ما فينا , ونعكس هذه الرؤية على ما هو قائم حولنا.

البشر يميل إلى إحتكار الأشياء وكنزها ولا يعطيها لأخيه البشر بسهولة وطيبة نفس , لأنه يريد كل ما حوله له وحسب , وهذا يدفع إلى الشراهة والطمع الذي يتأكد في سلوكياتنا المتنوعة.

ويبدو أن الجدل حاجة بقائية وغريزية ضرورية لديمومة النوع وتأكيد الذات , وهو نتاج التفاعل الإجتماعي , وقد يكون قائما على مستوى المخلوقات الأخرى , ونلحظه في سلوكها مع بعضها.

والجهل ظلم لأنه يدفع إلى سلوكيات غير منصفة ومؤذية وتغضب الخالق , وتوفر أسباب العناء الأرضي وتبني حالة من السوء والبغضاء , والتفاعلات السلبية النكراء.

الجدل رغبة الرفض ومحاولة السيطرة على الآخر نفسيا ومعنويا وجينيا.

تظهر ازدواجيتنا وإلتباسنا السلوكي وتشوه رؤيتنا للأمور من حولنا وما تملكه أيدينا , فنحن لا نرى ما عندنا بل نرى ما فينا , ونعكس هذه الرؤية

على ما هو قائم حولنا.

والنفس عالم آخر قائم في دنيا البشر ، ولها سلطتها وقوتها وسياطها التي تجلد بها ، ومحفزاتها التي تستخدمها لحث البشر على السلوك الذي يرضيها ، وفقا لنتيجة التفاعل ما بين أطراف معادلاتها المتفاعلة على نار الحياة اللاهبة.

الميل إلى العبثية والسلوك الذي لا يؤدي إلى هدف واضح ، وربما إلى نتائج مؤذية للنوع البشري ، وهذا لا يتفق مع إرادة البقاء والتواصل على سطح الأرض ، التي تدور في الدقيقة ألف ميل.

هذه العبثية والإنحراف عن الصراط الذي على البشر أن يسلكه ، خصلة قائمة فينا وتحتاج إلى كثير من المجاهدة والقوة للتغلب عليها والخروج من سطوتها.

سادس عشـــــر – أخطـــــار النفـــــس

"ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" ق 16

والنفس عالم آخر قائم في دنيا البشر , ولها سلطتها وقوتها وسياطها التي تجلد بها , ومحفزاتها التي تستخدمها لحث البشر على السلوك الذي يرضيها , وفقا لنتيجة التفاعل ما بين أطراف معادلاتها المتفاعلة على نار الحياة اللاهبة.

والنفس قوة عمياء وفقا لطبقاتها التي تتحكم وتتسيد على السلوك الفردي والجماعي أحيانا.

وللنفس مباحث لا يسمح بها هذا المقال لكن الإشارة إليها واجبة لكي تكتمل صورة السلوك التي نحن بصددها.

سابـــــع عشـــــر – العبثيـــــة

"أيحسب الإنسان أن يترك سدى" القيامة 36

الميل إلى العبثية والسلوك الذي لا يؤدي إلى هدف واضح , وربما إلى نتائج مؤذية للنوع البشري , وهذا لا يتفق مع إرادة البقاء والتواصل على سطح الأرض , التي تدور في الدقيقة ألف ميل.

وقد أنزلت الكتب والرسالات وجاء الأنبياء والرسل يرشدون البشر , ويضعون الدليل الصحيح للسلوك بين يديه , لكنه ينساه ويتجنبه ويعمه في عبثيته وتجاوزاته , ويمرح بجهله ويسعد به أعظم السعادة, ولا يريد مَن يمنعه من فعل ما تهواه نفسه , مهما كان أعوجا ومضرا به وبالآخرين.

هذه العبثية والإنحراف عن الصراط الذي على البشر أن يسلكه , خصلة قائمة فينا وتحتاج إلى كثير من المجاهدة والقوة للتغلب عليها والخروج من سطوتها.

ولهذا سعى الدين إلى تنظيم الحياة على مختلف جوانبها , لكي يحرر البشر من عواقب العبثية واللاهدى في سلوكه الدنيوي.

ختامـــــــــــــــــــا.....

فأن اليأس والجهل والظلم تُقرن بالكفر , لأن البشر في تلك الحالات سيخرج عن طوره البشري ويسوم أخاه البشر الجور والإجحاف , فحينما نجهل ونيأس ونظلم نحقق التعاسة البشرية, ومن ظلم غيره فأنه باء بظلمه وبسوء فعلته النكراء.

وعندما نضع مجموعة من البشر في خنادق اليأس ونصب عليها زيت الجهل , فأننا نصنع حريقا مرعبا يقضي على كل معالم الحياة , ويفجر خبائث السلوك ويفقد البشر كل قدرة على التعقل والتفاعل الحكيم , لأن العقل يموت والنفس السيئة تسود , وما يبقى عند البشر إلا أن يحسب الموت حياة.

وما تقدم بعض الصفات التي يشترك فيها الإنسان أينما كان وكيف كان دينه أو وطنه ولغته وثقافته. وهي من مميزاته الأساسية , التي يعبّر عنها وفقا للظروف التي تنهض حوله , وتسهّل رعاية وفعالية صفة على أخرى.

إنها مفردات سلوكية عامة يشترك فيها البشر , ولا يمنحها قدرات الإختلاف إلا ما يحيطه من ظروف.

وبالتأكيد هناك الكثير من الدلالات الأخرى ولكن هذا ما تمكنت منه , ووفقنا الله جميعا لعمل الخير والصلاح